مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

التجربة الشعرية في ديوان "ثورة البحر" بين التقليد والتجديد(*)

أ.د/ أحمد قاسم أسحم
أستاذ الأدب والنقد، كلية الآداب
جامعة تعز - اليمن

*) تاريخ تسليم البحث 3/1/2025 تاريخ قبوله للنشر 20/2/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

التجربة الشعرية في ديوان "ثورة البحر" بين التقليد والتجديد

أ.د/ أحمد قاسم أسحم
أستاذ الأدب والنقد، كلية الآداب
جامعة تعز - اليمن

الملخص

جاء هذا البحث للحديث عن التجربة الشعرية في ديوان "ثورة البحر" للشاعر عبد الرحيم سعيد أحمد سيف، من حيث التقليد والتجديد في: مفهوم الشعر لديه، وموضوعات شعره، ورؤيته، وصوره، وتوصل البحث إلى أن الشاعر ينظر إلى الشعر أنه فكر وعاطفة، وأن وظيفته في المقام الأول التعبير عن الوجدان ثم عن مشكلات المجتمع، واتسمت موضوعات شعره بالتجديد والتقليد، من حيث إنه اعتمد على موضوعات القصيدة القديمة، لكنه في الوقت نفسه أبدع موضوعات تعكس الواقع المعاصر وعاداته ومشكلاته، كما غلب على شعره الرؤية الكلاسيكية، لكنه لم يظل متقيدًا بها، بل اعتمد أيضًا على الرؤى الرومانسية والواقعية والرمزية، واعتمد على نمطين موسيقيين هما النمط العمودي مقلدًا القدماء من الشعراء، والنمط التفعيلي مسايرًا المحدثين المجددين، وإن كان يميل إلى اتقان النمط العمودي؛ فقصائده أجمل وأعمق، كما استطاع بهذا النمط أن يستوعب كافة رؤى المذاهب الأدبية: الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية، وتطورت الصورة في شعره تطورًا ملحوظًا؛ إذ استفادت من الرؤية الرمزية الفنية، ومع ذلك فلم تخل صوره الشعرية من التقليد في بعضها.

الكلمات المفتاحية: التجربة الشعرية، التقليد، التجديد.

The poetic experience in the collection "Thawrat Al-Bahr" between tradition and innovation

Dr. Ahmed Qasim Asham
Professor of Literature and Criticism
Faculty of Arts, University of Taiz – Yemen

Abstract

This research addresses the poetic experience in the poetry collection "Thawrat Al-Bahr" (The Revolution of the Sea) by the poet Abdul Rahim Said Ahmed Saif, focusing on imitation and innovation in his concept of poetry, themes, vision, and imagery. The study concludes that the poet perceives poetry as both thought and emotion, with its primary function being the expression of sentiment and then addressing societal issues. The themes of his poetry are characterized by both innovation and imitation, as he drew upon traditional themes of classical poetry while simultaneously introducing topics that reflect contemporary reality, customs, and challenges. His poetry predominantly embodies a classical vision, yet it is not entirely bound by it, as he also incorporates romantic, realistic, and symbolic perspectives. He employed two musical patterns: the traditional vertical style, following the ancient poets, and the free verse style, aligning with modern innovators. However, he tends to excel in the vertical style, producing more profound and aesthetically pleasing poems, which allowed him to encompass the diverse visions of literary schools, including classicism, romanticism, realism, and symbolism. His poetic imagery evolved remarkably, benefiting from artistic symbolic perspectives, although some of his images remained rooted in traditional forms.

Keywords: Poetic Experience, Imitation, Innovation.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وبعد فليس الأدب؛ وخصوصًا الشعر كلمات تقال دون موهبة وثقافة، وإنما هو جهد يقوم على هاتين الصفتين اللتين وجدتهما في ديوان "ثورة البحر" للشاعر عبد الرحيم سعيد أحمد سيف(١)، هذا الديوان الذي دوّن فيه الشاعر أحلامه وآلامه، أفراحه وأحزانه، وشمل وصفًا وإعجابًا، واحتوى نقدًا للواقع ومدحًا لنماذج من أصدقائه.

والذي لفت نظري لأول وهلة عنوانه المكون من كلمتين في صورة تكثيفية شاعرية، صنعها وأبدعها خيال الشاعر الفني، الذي ألف بين شيئين متناقضين في الواقع، وهما "ثورة – البحر"، فإذا نحن أمام صورة فنية شعرية موحية بشتى الدلالات، الأمر الذي جعلني أدلف إلى محيط الديوان لأرى الإهداء وقد انبثق هو الآخر في صورة كلية مكونة من صور جزئية، لا تقل روعة عن صورة العنوان، مما يدل على موهبة الشاعر وثقافته الفنية وذاقته الفنية.

عمر تجربته الشعرية كما موضح في تواريخ قصائد الديوان ما يقارب عشرين عامًا، وهي فترة تكفي لمعرفة سمات هذه التجربة ومفتاحها ورؤيتها، ومن ثم كان الإقدام على بحث شعره تحت عنوان: " التجربة الشعرية في ديوان "ثورة البحر" بين التقليد والتجديد"، ومن أجل تحقيق الهدف **قُسم البحث إلى محاور على النحو الآتي:**

المحور الأول: تمهيد

المحور الثاني: موضوعات تجربته الشعرية

المحور الثالث: الرؤية المذهبية في تجربته الشعرية

المحور الرابع: الصورة في تجربته الشعرية

وأخيرًا فالديوان يحتوي على (٤٤٢) صفحة، لكني لا أدري ما هو المعيار الذي اتخذه الشاعر في ترتيب القصائد في الديوان؛ فالقصائد كلها مؤرخة، وهذه حسنة جليلة تحسب له، إلا بضع قصائد، لكنه لم يتخذ تاريخ القصائد معيارًا للترتيب، وأظن أنه اتبع مقياس أهمية الموضوع؛ فالقصيدة الأولى مثلًا مدح ومناجاة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد كتبت (٢٠١٤)، فكانت درة الديوان كله، وقدمها لأهميتها عنده وعند المتلقي.

(١) عبد الرحيم سعيد أحمد سيف الكليبي شاعر يمني من مواليد (١٩٧٨م) حصل على بكالوريوس في اللغة العربية مع مرتبة الشرف من جامعة تعز عام (٢٠٠٥م)، وهو عضو جمعية الشعراء تعز صدر له: ديوان ثورة البحر، وديوان ترويض العواصف، وديوان مخابئ النجوم، وله خمسة دواوين أخرى مخطوطة.

المحور الأول: تمهيد

مفهوم الشعر ووظيفته ومصدره عند الشاعر:

مفهوم الشعر لديه كما قال:

وما الشعر الجميل سوى كؤوس ... من الفكر المعتق والشعور[١]

فهو يرى أن الشعر ما تحققت فيه سمتان: الفكر والوجدان، ويؤكد ذلك بقوله:

الشعر قلب ضمه عقل وفي ... هذين آيات من الإعجاب[٢]

وأما وظيفة الشعر فهي كما يقول:

والشعر ما هيج الدنيا ورقصها ... ورددته على الأجيال أزمان

يكفيك يا شعر أني لم أكن أبدًا ... مداح قوم لهم مال وسلطان

وما خدمت بشعري غير أمنية ... خضراء ما شمها فكر ووجدان

إن المماليك أبنيها بقافيتي ... ولي من الشعر أجناد وإيوان[٣]

وبذلك نعرف أن الشاعر أراد بشعره أن يكون حاملًا رسالة، وفي نفس الوقت يثري إحساس الأمة ويطربها، وهذه الوظيفة قد تجسدت في بعض قصائد الديوان، كذلك يرى الشعر علاجًا للأحزان كما في قوله:

يا بنت (بلقيس) هاك الشعر مبتسما ... فلتنشديه إذا مستك أحزان[٤]

ويوضح وظيفة الشعر بصورة أوضح في قوله:

الشعر شمس في طموح شعاعها ... سر يترجمه ذوو الألباب

الشعر بدر في تبسمه مني ... خضراء تمحو قسوة الأوصاب

الشعر برق إن تجلى للورى ... أهداهم غيثا بغير سحاب

يأوي إلى الأكواخ مثل حمامة ... تأوي إلى عش من الأهداب

يحنو على آهات أرباب الأسى ... فتصير في الأفاق ومض شهاب

يسخو على الصحراء إن بخل الندى ... فيحيلها كونا من الأعشاب

---

(١) ثورة البحر، برنت تك للطباعة والإعلان، تعز، ص٣٥٧.

(٢) نفسه، ص١٠٣.

(٣) نفسه، ص٣٨.

(٤) نفسه، ص٣٩.

الشـــعر حـــرب إن تســـربل بالـــردى جعـــل القصـــور تـــئن تحـــت تـــراب
الشـــــعر نار إن تجـــــاوز حـــــده طغيـــــان باغ جـــــاء بالإرهـــــاب(١)

فالشاعر هنا ينظر إلى الشعر – كما توحي الأبيات – أنه هداية وعلاج للأحزان، وله وظيفة اجتماعية؛ إذ يحاول أن يكشف مأساة الفقراء ويقف إلى جانبهم، ويكشف الفاسدين.

ومن العجيب أن الشاعر بالرغم من أنه ينطلق في رؤيته للشعر بحسب شعره السابق من رؤية واقعية، إلا أنه في أشعاره أو ديوانه قلما اهتم بالواقع المعيش ومشكلاته، بل حصر نفسه في موضوعات المناسبات وما يعاني من لواعج الحب والشوق والفقدان وفقًا للرؤية الكلاسيكية والرؤية الرومانسية، والحب هنا بمعناه العام حب المرأة وحب الأب وحب الولد، وآية ذلك مصدر الشعر عنده؛ فهو يرى أن من أهم مصادر شعره هو حبه وهيامه، كما في قوله في قصيدة "إلى ينبوع شعري":

أنـــــت يا ينبـــــوع شـــــعري فتنـــــة لعبـــــتِ بي لعبـــــتِ بالملكـــــات(٢)

وقوله:

نســـجت الشـــعر مـــن شـــوق الأمـــاني ومـــــن أحـــــلام أخيلـــــة العبـــــير
ومـــــن أضـــــواء ألحـــــان الـــــدوالي ومـــــن آمـــــال وجـــــدان الزهـــــور(٣)

وقوله في قصيدة "وحي العيون":

طرفهـــــــا أوحـــــــى إليـــــــا ســـــــورة الحـــــــب وحيـــــــا
ثم أوصـــــــــاني بلطـــــــــف بالوفـــــا مـــــا دمـــــت حيـــــا
إنـــــه طـــــرف بليـــــغ يســـــبل الشـــــعر عليـــــا(٤)

فبين الشاعر في هذا الشعر صدق ما قلنا إنه وهب نفسه وشعره للتعبير عن تجربته الذاتية وعن عواطفه، وبذلك لم يجعل شعره نقدا للواقع الاجتماعي والسياسي إلا فيما ندر من القصائد، ومن ذلك قصيدة: "ثورة البحر" التي صارت عنوانًا للديوان، وهي قائمة على نظام التفعيلة، وذات مضمون ثوري؛ إذ تحكي عن ثورة (١١/فبراير ٢٠١١)، واتسمت ببعض سمات القصيدة الحديثة ذات التفعيلة ومن أهمها استخدام المعادل الموضوعي من مثل قوله في القصيدة:

(١) نفسه، ص١٠٣-١٠٤.
(٢) نفسه، ص٢١٥.
(٣) نفسه، ص٣٥٧.
(٤) نفسه، ص٣٩٦.

وإذا ب (فرعون) الذي

ظن العباد عبيده

يبني له (هامان) صرحا من زجاج

ويظل يطلب نعجة

لم نمتلك شيئا سواها

ليحوز آلاف النعاج

حتى متى

ستظل يا (فرعون) مغترًا

وقد قلع السياج

حتى متى

ستظل يا (فرعون) مغترا

وهذا البحر يوغل في الهياج

البحر هاج

البحر هاج

البحر هاج[1]

وتعد هذه القصيدة من أطول القصائد التي أقامها على نظام التفعيلة، وأقربها إلى روح القصيدة الحديثة كما قلنا، ولعل المقطع الذي مثلنا به هو أفضل وأجود مقاطع القصيدة فنا ومضمونا، ولو اكتفى به وحده لبلغ الهدف؛ لأن ما قيل قبل هذا المقطع وما بعده ما هو إلا تكرار لما ورد فيه؛ لأن الشعر الحقيقي يقوم على التكثيف، ومن ثم ظهر القول النقدي لبعضهم: لا يوجد قصيدة طويلة!!

المحور الثاني: موضوعات تجربته الشعرية

أما من حيث الموضوعات فهناك موضوع المدح، وقصائده كثيرة في الديوان ومن أهم هذه القصائد قصيدة: "مع الحبيب المصطفى" وهي مدح للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي أول قصيدة في الديوان؛ وفيها يتجلى حب الشاعر للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن خلال ذلك نلمس تجديدًا في الموضوع، وهو التعرض في نهايتها إلى نقد الواقع المعيش من خلال شكواه للمصطفى صلى الله عليه وسلم كما نجد ذلك في قوله:

حبيبي رسول الله إنا لفي لظى وأيامنا صارت ظلامًا معربدًا

(١) نفسه، ص٨٧.

وأوطاننـــا للشـــرق والغـــرب مطمـــع وخيراتنـــا نهـــبى وآمالنـــا ســـدى
تبعنـــا زعامـــات مواكبهـــا هـــوى إلى حيـــث صـــار الليـــل للصـــبح سـيدًا
تشـــتتنا الأحـــزاب رغـــم اتحـــادنا لســـانا وإســـلامًا وأرضًـــا ومتحـــدًا[1]

ومن إبداعه في فن المدح اتخاذه من النماذج البشرية المختلفة وسائل لتوضيح الفكرة وتعميق الأثر في نفس القارئ كما في قوله:

تغـــير النـــاس حـــتى صـــار أحســـنهم يبـــدي لصـــاحبه أخـــلاق شـــيطان
وأنـــت تبـــدي لنـــا في كـــل آونـــة لمـــا تجالســـنا سمـــت ابـــن "عفـــان"
هـــذه الجـــواهر أهـــديها إليـــك أخـــي كأنهـــا مـــن "جريـــر" لابـــن "مـــروان"
وإن أردت لهـــا الوصـــف الـــدقيق فقـــل كأنهـــا درة مـــن در "حســـان"
ألفاظهـــا عنـــدما قـــد كنـــت أكتبهـــا كأنهـــا ريشـــة في كـــف فنـــان
خـــذها فـــإن بهـــا حكمًـــا يزينهـــا كأنهـــا نســـجت مـــن حكـــم "لقمـــان"[2]

ومن قصائده ذات الاتجاه الوجداني قصيدة "ابتهال" فهي طافحة بالوجدان الإيماني وانكسار الذات الإنسانية أمام الذات الإلهية:

يا رب عفـــوًا فـــإن الطـــيش أعمـــاني وأنـــت تعلـــم مـــا في عمـــق وجـــداني
عفـــوًا إلهـــي إذا مـــا جئـــت منتحبـــا أنا الضـــعيف تلظـــت في أحـــزاني
هـــا قـــد أتيـــت وآمـــالي تقـــول معـــي أنـــت الحلـــيم فـــأطفئ نار عصـــياني
إن الرجـــاء ســـرور قـــد ســـرى بـــدمي لمـــا ذكرتـــك فاســـتحقرت أشـــجاني
يا رب أخطـــأت لكـــن الرجـــاء علـــى وجهـــي تـــراءى جليًـــا مثـــل عنـــوان
وفي ضـــميري أمـــانٍ أنـــت تعلمهـــا فاســـعد الجاهـــل الجـــاني بغفـــران[3]

وفيها نلمس مشاعر الشاعر وأحاسيسه الصادقة، وضعفه أمام ربه تعالى، وطمعه في الغفران والرحمة ومحو سيئاته.

والشاعر يعتد بأخلاق الدين، ولذلك حاول في بعض القصائد أن يجسد ذلك؛ ففي قصيدة: "إلى بنت بلقيس" يقول مخاطبًا الفتاة اليمنية ذات الخلق الإسلامي:

---

(١) نفسه، ص٤.
(٢) نفسه، ١٦٥- ١٦٨.
(٣) نفسه، ص٣٩٣.

فلتصنعي المجد إن المجد تصنعه ذات الحجاب إذا قواه إيمان

كم برقع كان خيرًا من قلنسوة ومن عمائم فيها اكتن بهتان

إن العمائم أحيانًا مزورة فيها من الزور ما يأباه (هامان)[١]

ومن الحكم الجميلة المستقاة من عقيدتنا الإسلامية قوله:

فإن ظفرت به فالموت ليس سوى محطة عندها يستأنف العمر[٢]

حيث أبرز الموت في صورة محطة، يستقل ابن الدنيا قطارها إلى مكان آخر، ويستمر عمر إنسان، ولكن في مكان وزمان آخرين.

وموضوع الغزل هو الغالب فقد جاءت قصائده بعضها قائم على الرؤية الرومانسية، وهو الأكثر، والبعض قام على الرؤية الكلاسيكية التقليدية مثل قصيدة "مدامها" فالشاعر نسجها على منوال قصائد الغزل الحسي عند عمر بن أبي ربيعة وغيره.

ومن الموضوعات الجديدة موضوع نقده للطلاب الذين علمهم العربية كما في قوله:

وطلاب فتحت لهم فؤادي عسى أن يقرؤوا فيه التهابي

ويعترفوا بفضلي ثم يقضوا حقوق "الضاد" في زمن الكذاب

ولكن البلادة قيدتهم وأفشت بينهم سر الخراب

"سعيد" عندهم فعل و"لولا" ضمير بارز يا للمصاب[٣]

وهو تأثر واضح بما قاله إبراهيم طوقان في قصيدته " التي رد بها على أحمد شوقي الذي مدح المعلم ومطلعها:

شوقي يقولُ وما درى بمصيبتي (قُمْ للمعلمِ وفِّه التبجيلا)

ومن هجائه قصيدة "وصف" وهي قصيدة هجا بها امرأة، متأثرًا بابن الرومي حين هجًا مغنية يقول:

ملامح وجهها نحس ومقلوب اسمها رمس

وطبع فؤادها رجل يحرك قلبه رجس

فتاة عمرها لهو وقيمة نفسها فلس

لحاها الله من أنثى ظلام ماله شمس[٤]

(١) نفسه، ص٣٦.
(٢) نفسه، ص٥٠.
(٣) نفسه، ص١٧٠.
(٤) نفسه، ص٣٤١.

ومن موضوعاته الجديدة الطريفة هجاؤه لحلاق في قصيدة "إلى حلاق" مطلعها:

شـــلت يمينـــك أيهـــا الحـــلاق ... شـــوهت رأسًـــا زانـــه الخـــلاق
أرســـلت في شـــعري مقصًـــا جائعًـــا ... فـــأتى عليـــه يحثـــه الإمـــلاق
مـــاذا جـــنى شـــعري فقمـــت تحثـــه ... جـــث الحشـــيش؟ أماتـــت الأذواق؟(١)

وقوله:

يصـــير الشـــعر شـــيئًا كالشـــعير ... إذا لاقـــى أناسًـــا كـــالحمير(٢)

ومن الموضوعات الجديدة أيضًا موضوع الإشادة بالأم في عيدها، كما في قصيدة "إلى أمي" ومنها:

بعيـــد الأم كـــم يختـــال شـــعري ... وينثـــر في ربـــوع الأرض زهـــري
هـــي الحـــب الكبـــير وكـــل الحـــب ... ســـواه كقطـــرة في شـــط بحـــر
حنـــان الأم شمـــس مـــن وفـــاء ... تطـــل علـــى الـــدنى مـــن قلـــب فجـــر
وعطـــف الأم بـــدر مـــن وداد ... يشـــاهده الـــورى في كـــل عصـــر(٣)

ومن وصفه النادر الجديد قوله في النارجيله:

فيـــا لله مـــن حســـناء أمســـت ... تنســـيني هـــوى كـــل الغـــواني
أغازلهـــا ولي أشـــواق طفـــل ... رأى ثـــديا بصـــدر مـــن حنـــان
تمـــد إلى مـــن كـــرم ذراعًـــا ... فألثمهـــا ولي فـــرح التـــداني
وألمـــح رأســـها فيهـــيج شـــعري ... وترفـــل شـــرايبني الأغـــاني(٤)

فقد تحولت النارجيله على يده حورية جميلة ساحرة، تقر بها العيون وتطمئن له النفوس وتُنسى بها الهموم والغموم وتحل بها السعادة.

ومن القصائد الاجتماعية التي تكشف لنا الواقع المزري قصيدة "مجانية الموت" ومنها:

لا تطلـــب اليـــوم شـــيئًا دونمًـــا ثمـــن ... فالمـــال معبـــود جـــل الخلـــق مـــذ كـــانوا
تلـــك التجـــارة قـــد قامـــت قيامتهـــا ... فكـــل شـــيء لـــه في الســـوق أثمـــان
حـــتى الهـــواء الـــذي يســـري بعالمنـــا ... أضـــحى يبـــاع لمرضـــى غـــالهم شـــان
حـــتى الكـــرى صـــار أقراصًـــا مغلفـــة ... تبـــاع في الســـوق والمســـكين ســـهران
كـــل الـــذي كـــان في الـــدنيا بـــلا ثمـــن ... أضـــحى يســـوقه للنـــاس شـــيطان(٥)

(١) نفسه، ص٣٨٤.
(٢) نفسه، ص٣٥٧.
(٣) نفسه، ص٣٤٩.
(٤) نفسه، ص٤٢٦.
(٥) نفسه، ص٤٣٧.

وقد يميل إلى استخدام الرمز للشكوى من الواقع المعيش، كما في قصيدة "قط" وفيها يوضح سبب مأساة الفئران التي هي معادل موضوعي للشعب ومنها:

قـــط تعلـــم في يـــدي شـــيطان ... أن يمحـــو الأحـــزان بالأحـــزان
أضـــحى لـــه في الغـــدر ألـــف وســـيلة ... مـــذ صـــار ســـلطانا علـــى الفئـــران
حـــتى مـــتى ســـيظل في طغيانـــه ... متلـــذذا بالقتـــل والعـــدوان
مـــا أجـــبن الفئـــران لـــو ظلـــت علـــى ... هـــذي الطبيعـــة دونمـــا إعـــلان
لا عـــيش للفئـــران مـــا لم تتحـــد ... وتقابـــل الطغيـــان بالطغيـــان[1]

المحور الثالث: الرؤية المذهبية في تجربته الشعرية

نستطيع القول إن شاعرنا ينتمي إلى المذهبين الكلاسيكي الجديد والرومانسي في غالبية قصائد الديوان، وتتضح لنا الكلاسيكية في شعره في أخص خصائصها، وهي خاصية الإعلاء من قيمة العقل كما في قصيدة "نداء العقول" ويقول في مطلعها:

لـــو أصـــخنا إلى نـــداء العقـــول ... لقضـــينا الحيـــاة دون خمـــول[2]

وهي الخاصة التي جعلت من الكلاسيكية أدبا للتعليم والتهذيب، سواء عند العرب أم عند الغرب، وعندما نقول ذلك لا نريد أن يتسرب إلى ذهن القارئ، أننا نعيب الشاعر؛ فالكلاسيكية نمط فني جمالي يقوم على الوضوح واللغة الفصيحة الفخمة والمعاني النبيلة والتصوير غير المعقد، ومن ثم كانت في كافة العصور خير نموذج للتربية والتعليم كما قلنا.

كذلك نجد قصائد كثيرة نسجها الشاعر على منوال الرومانسية من مثل "شيطان بين ملائك" و"دعاء الحب" فمن القصيدة الأولى قوله:

كنـــت في صـــمت كأجفـــان الكـــرى ... وكـــأني مالـــك كـــل الممالـــك
والـــتي اســـتاءت غـــدت في ناظـــري ... مثـــل شـــيطان بـــدًا بـــين ملائـــك[3]

ومن الثانية قوله:

عينـــاك بحـــر مـــن خيـــال ... أمواجـــه ســـر انشـــغالي
عينـــاك ســـحر ضـــاحك ... بـــل آيتـــان مـــن الكمـــال[4]

(١) نفسه، ص٤٤٠-٤٤١.
(٢) نفسه، ص١٨١.
(٣) نفسه، ص٦.
(٤) نفسه، ص٧.

ومن الرؤية الرومانسية أيضًا قصيدة: "فرار" وفيها نرى المبالغة الشعرية الجميلة كما في قوله:

رويت الشعر شعر الحب حتى غلبت بحفظه مليون شاعر[١]

ومن أمثلة الاغتراب ذي الرؤية العربية الإسلامية قوله:

وصرت أشكو النوى والهم يعصرني وإن دجا الليل مالي غير قرآني
وإن دجا الليل مالي غير قرآني كأنني (أحمد) في شعب (بوان)[٢]

ومع ذلك يظهر الاغتراب الرومانسي والانطواء الذاتي المجلل بالأسى والحزن في قوله:

هذي الحياة التي أحيا بلا أمل لا العمر عمري ولا الأوطان أوطاني
تركتني للأسى والبين في زمن يريني في كل آن وجه خسراني[٣]

وهي من قصيدة قالها في رثاء أحد أصدقائه في فبراير (٢٠٠٨).

كذلك نجد الدعوة إلى العزلة وحث القارئ عليها في قصيدة "خلف الكواليس" ومنها:

وعش وحيدًا إذا ما كنت مقتدرًا فوحدة المرء دنيا من فراديس
ديوان شعر مع الإنسان يؤنسه خير إلى النفس من كل القواميس
ودفتر يكتب الإنسان هاجسه فيه فداء له كل القراطيس
وحزمة من غصون القات مغنية عن ألف قارورة من خمر باريس
وخلوة يقرأ الإنسان باطنه فيها ستغنيه عن زور الأحاسيس
وجلسة في رحاب الله واحدة تنفي عن النفس آلاف الكوابيس
فليغنم المرء دنياه بوحدته ولينتقد نفسه خلف الكواليس[٤]

ومن الرؤية الواقعية قصيدة سياسية بعنوان "عندما يقسو الزمان" ومنها:

آه على وطن بدون إرادة مذ حكمت في أمره الأصنام[٥]

---

(١) نفسه، ص٦٨.
(٢) نفسهن ص١٦٤.
(٣) نفسه، ص٢٩٧-٢٩(٣) نفسه، ص٤٤٠-٤٤١.
(٣) نفسه، ص١٨١.
(٣) نفسه، ص٦.
(٣) نفسه، ص٧.
(٣) نفسه، ص٦٨.
(٣) نفسهن ص١٦٤٨.
(٤) نفسه، ص٤٤٢.
(٥) نفسه، ص٣٦٥.

حاول فيها الشاعر أن يتحدث عن مأساة الوطن، لكنها ليست بجودة قصائده المعبرة عن الذات من الناحية الفنية.

كما حاول الشاعر أن يكتب القصيدة المعاصرة (قصيدة التفعيلة)، لكن قصائده العمودية أجمل وأفضل، وهي الغالبة على الديوان، مما يؤكد أنه خُلق ليقول شعرًا عموديًا، وقد جاءت قصائد التفعيلة تلقائية في أغلبها، وكأنها فقط آية يثبت بها الشاعر أنه يجيد قول هذا النوع من الشعر، ونسي الشاعر أو تناسى أن هذا الشعر له سمات جوهرية وجمالية، غير السمة الشكلية الموسيقية البارزة في(التفعيلة واعتماد السطر بدلًا من البيت) التي للأسف انتهجها أغلبية الشعراء في الشعر العربي الحديث والشعر اليمني بشكل خاص، لذلك أدعو الشاعر أن يظل مخلصًا كما هو للنمط العمودي، الذي يتقنه بجدارة وبشاعرية عميقة وبرؤى متنوعة: كلاسيكية ورومانسية وواقعية ورمزية.

وربما تكون قصيدة "رحيل" من شعر التفعيلة الجيد؛ فهي فعلًا نمط شعري رائع شكلًا وتقوم على رؤية رومانسية طافحة بالأسى والحزن على فقد "حمدي" ابن الشاعر الطفل الذي كان شمس الشاعر وسيفه وقبيلته، كما قال في قصيدة "حمدي":

(حمـــــدي) حســـــام في يـــــدي وجحافـــــل قبلـــــي وبعـــــدي[1]

تلك الفرحة انطفأت وحل مكانها البكاء والعويل الرومانسي، فنتجت قصيدة "رحيل" فصار فيها "حمدي" معادلًا موضوعيًا للفرح والابتهاج اللذين هُمدا كما في قوله في هذه القصيدة:

ورحلت فانكدرت نجوم
وتناثرت في القلب غربان وبوم
لكنني ما زلت ألمح وجهك الوضاء في كل المرايا
ما زلت أسمع صوتك الرنان في كل الزوايا
كم قلت يا "بابا"
فأجبت يا قلبي
يا حلم أيامي
يا منتهى حبي
يا نبع إلهامي
يا منحة الرب[2]

(١) نفسه، ص٥٣.

(٢) نفسه، ص٥٦.

ومن القصائد ذات التفعيلة التي جاءت برؤية واقعية قصيدة "إلى صنعاء"، وإليك من مقطعها الأول:

الليل يقتحم الشوارع
صمت الورى
وتفرعنت لغة المدافع
والشمس لاذت بالغروب
وامتصت الأضواء من كل الدروب
واستهجنت ذل الشوارع
"صنعاء" أين النهار؟!(١)

وهو أجمل مقطعي القصيدة، والمقطع يخاطب صنعاء خطاب المستغرب، وتحتوي القصيدة على رموز فنية ثرية الإيحاء.

وكذلك قصيدة "فلاح" ومنها:

نهض الصباح
يشدو بأغنية الفلاح
أنسته هم البارحة
والبؤس تلك الكادحة
ومضى إلى الحقل الذي
يلقى بتربته انشراح
يلقى بمعوله التراب
ولديه أحلام الشباب(٢)

وهذه من القصائد التي حاول الشاعر أن يتحدث فيها عن قضايا اجتماعية، ومن ذلك قصيدة "حكاية مدمن"، لكنه لم يحاول أن يعرض المشكلات بطريقة عميقة، تكشف الأسباب التي أدت إلى هذه المشكلات، وطريقة حلها، وإنما كانت وصفًا شكليًا للمشكلات مثل قوله في القصيدة نفسها:

أضحى يهد جهوده
في السوق مقطوع الحذاء
ليعود منتصف النهار

(١) نفسهن ٢٠٣.
(٢) نفسه، ص١٥١.

يزهو بحزمة قاته

متسربلًا حلل الفخار

وتناول الآن الغداء[١]

فهذا وصف لا يختلف كثيرًا عن وصف أحدنا لأي يمني يذهب لشراء القات، هو وصف سطحي لم يستطع أن يعمق إحساسنا بهذه المصيبة، حتى نمتلك الإرادة لتركه من خلال وصفه، فالقرآن الكريم مثلًا لما أراد أن يعمق إحساسنا بخبث شجرة الزقوم، عرضها في صورة موحية جعلت أجسامنا تقشعر من الخوف حين قال: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" فهي صورة ليس لها أي مرجعية في الواقع، الأمر الذي جعلتنا نشعر بمأساة الانسان الكافر، الذي ستكون غذاءه غدًا.

لكن صورة الشاعر للقات هي نفس الصورة التي نراها في الواقع كل يوم، فأدى ذلك إلى فقدنا الإحساس بالمأساة، ولولا الإيقاع لكان وصفًا عاديًا، وهذا هو أثر من آثار الكلاسيكية الحرفية؛ فهي تسجيل الواقع كما هو، بعكس الكلاسيكية الفنية التي وصفها أرسطو بأنها إبداع ما يجب أن يكون لا ما هو كائن، وكثير من قصائد الشاعر عبد الرحيم تنطوي ضمن رؤية الكلاسيكية الفنية.

وعلى كلٍ فقصيدته العمودية أجمل بكثير من قصيدته ذات التفعيلة، ولا يعيب الشاعر المعاصر أن لا يكتب في هذا النمط، فالبردوني وهو عملاق الشعر اليمني الحديث لم يكتب قصيدة واحدة بطريقة السطر والتفعيلة، ولعله كان يحدث نفسه أن لهذا النمط سمات جوهرية محددة لا يجيدها، فالشاعر عبدالرحيم شاعر عمودي قح دل على ذلك شعره في قوله:

وأنـــــت شـــــعر مقفـــــى في عـــــالم المســـــتحيل

بـــل أنـــت شـــعر مقفـــى مـــن القـــريض الأصـــيل

بـــل أنـــت بحـــر عظـــيم حـــوى بحـــور الخليـــل[٢]

فهو يفضل هذا النوع من الشعر، سواء أكان واعيًا لذلك أم غير واعٍ، ولذلك اتخذه هنا لتصوير محبوبته، ويوضح نهجه الشعري القائم في القصائد الكلاسيكية على اقتفاء القديم بقوله:

ســأبكي كـــ "امـــرئ القـــيس" اشـــتياقًا فهـــل يا (ذا القـــروح) هنـــاك أمـــر؟[٣]

ولأنه يجيد الشكل العمودي –كما قلنا – فقد استوعب هذا الشكل عنده جميع الرؤى: الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والواقعية تمامًا مثل البردوني، وقد مثلنا لذلك فيما سبق.

(١) نفسه، ص١٥٣.

(٢) نفسه، ص٣٥٨.

(٣) نفسه، ص٣٦١.

والغريب في تجربة الشاعر من حيث الرؤية المذهبية أن معظم قصائد الحب والهيام وهي ذات رؤية رومانسية كتبها في فترة العقد الثاني من القرن الحالي وهي فترة سوداء مظلمة، على كل فرد من أفراد هذا الشعب المسكين، ومصدر الغرابة تحوّل الشاعر في أغلب قصائده إلى الرؤية الرومانسية؛ وبخاصة الدوران حول موضوع الحب، وكأنه حاول بذلك نسيان الواقع وآلامه، فأصبح بعيدًا جدًا عن واقعه المأساوي وواقع أمته كما قال في قصيدة (جنة الحب):

ودخلت أخيرًا
جنة حب أبدية
فنسيت النار
تركت طقوس الهمجية
وتغلغل حبك في الأعماق
واشتعلت في قلبي الأشواق[١]

فكأنه اتخذ من قصيدة الحب كأسًا يغرق به أحزانه، وأوقف شعره لذلك، ويقول في قصيدة (فجأة) وهي قصيدة كتبها عام (٢٠١٩):

سأقول الآن شيئًا
عنك يحكي ما أعاني
لم أجد مثلك يومًا
منية بين الأماني
فصليني كل حين
تسمعي خير الأغاني[٢]

وتارة تفوق الأحزان في نفسه فيهرع إلى تصوير تلك الكآبة بما يخفف عنه العناء كقوله في قصيدة (يوم أسود) كتبها في الفترة نفسها:

فصـــــرت كدوحـــــة هطلـــــت عليهـــــا البـــــوم والغـــــربان
وأضـــــحى الوقـــــت منكســـــرًا يلـــــوح كعتمـــــة ودخـــــان
هنالـــــك بـــــت مرميًـــــا علـــــى شـــــوك مـــــن الأحـــــزان
أرتـــــل ورد وجـــــدابي وأرجـــــو رحمـــــة الـــــرحمن[٣]

(١) نفسه، ص٢١٧.
(٢) نفسه، ص٢٣٧.
(٣) نفسه، ص ٢٢٩-٢٣٠.

طامحًا أن يجعل الله له فرجًا، وأن يرحمه من أحزانه الذاتية، وقد يميل إلى الغناء تعويضًا عن هم الواقع كما في قوله:

إن الغنـــــاء لإكســـــير نلـــــوذ بـــــه ... في ذا الزمـــــان الـــــذي نعمـــــاه ضـــــراء
إن الغنـــــاء ينســـــينا مصـــــائبنا ... كأنـــــه لجنـــــان الخلـــــد إســـــراء
إذا تغـــــنى المغـــــني يختفـــــي حـــــزني ... فـــــأمتطي الضـــــوء والأفكـــــار لألاء[1]

وتلمع بين هذه القصائد القائمة على الانطواء على الذات وفقًا للرؤية الرومانسية قصيدة "غراب المسجدين" تحدث فيها عن مأساة المصلين في مسجدي نيوزيلندا على يد متعصب شرس يقول فيها:

"الله أكبر" أشعلت
قلبا تنكر للسماء
فمضى لغايته التي
تركته يغرق في الدماء
ما كان يحسب أنه
سيظل رمزًا للغباء[2]

وهي قصيدة قالها في مارس (٢٠١٩) وهي من ذلك القليل النادر الذي كتب في العقد الثاني، وصف فيها المجزرة، وأفضل أسطرها ما ذكر.

ومن القصائد ذات الاتجاه الاجتماعي وفقًا للرؤية الواقعية في هذه الفترة وهي قصيدة نادرة أيضًا بين القصائد الذاتية الرومانسية الكثيرة قصيدة "إلى مسكين" ومنها:

أشـــــعل شموعـــــك مـــــن ســـــراجي ... إن ذقـــــت طغيـــــان الـــــدياجي
وإذا طلبـــــــــت معـــــــــونتي ... يومًـــــا فأبشـــــر بانفـــــراج[3]

وهكذا وجدنا الشاعر القدير طوال عشر سنوات لم يهتز له وتر في سبيل المجتمع اليمني خاصة، والعربي والإسلامي عامة، إلا نادرًا؛ بالرغم من إيمان الشاعر بوظيفة الشعر من الناحية الاجتماعية والثورية، كما قال في قصيدته "بين يدي الشعر" التي تعد أطول قصيدة في الديوان؛ إذ بلغت عشرين مقطعًا بطريقة التفعيلة والسطر وفيها يقول:

إن القصيد مزاهر
إن القصيد خناجر[4]

(١) نفسه ص٢٧٥-٢٧٦.
(٢) نفسه، ص٢٤٠.
(٣) نفسه، ص٢٧٩.
(٤) نفسه، ص٢٥٦.

فهنا نقف متأملين في هذين السطرين اللذين يشيران إلى أن وظيفة الشعر عند الشاعر جمالية اجتماعية ثورية، وهذا ما يزيد حيرتنا حول عدم إخضاع قصيده لنقد الأوضاع المتردية في يمننا المجروح في هذه السنوات العشر خاصة.

ووجدناه ابتداءً من (٢٠٢٠) قد نوّع في قصائده بين قصائد للذات، وقصائد للجموع، ومنها قصيدة "إلى عنقاء اليمن"(١) تحدث فيها عن مأساة صنعاء، وهي قصيدة رائعة جسدت المأساة وأسبابها، والترميز بالعنقاء يوحي بأن صنعاء سوف تنتهي من مأساتها، وستعود إليها حياتها وكذلك في قصيدة "عنقاؤنا"(٢).

وقد تم إحصاء القصائد تحت ثلاثة مستويات من حيث الرؤية المذهبية لتحديد الموضوعات الأكثر اهتمامًا لدى الشاعر، وتحديد فترتها الزمنية، فكما قلت سابقًا أن عمر تجربة الشاعر لا يتجاوز عشرين سنة، وخلال هذه العشرين وجدنا من الإحصاء أن الموضوعات الأثيرة عنده هي الموضوعات الوجدانية ذات الرؤية الرومانسية التي تدور حول الحب والهيام والرثاء الصادق النابع من العاطفة والإحساس بالحزن والانطواء والعزلة والعتاب، ثم جاءت موضوعات تدور حول المدح والهجاء والوصف وغيرها مثل: شعر المناسبات، ثم تأتي قصائد النقد الاجتماعي والسياسي ذات الاتجاه الواقعي في المرتبة الثالثة، وهي قليلة إذا ما قيست بالوجدانيات ذات الرؤية الرومانسية، وتأتي بالمرتبة الرابعة من حيث عدد القصائد قلة القصائد ذات المسار الرمزي.

ومن ثم نرى أن الشاعر لم يطبق مفهومه للشعر الذي ذكرناه في التمهيد، فالديون يحكم أن الشاعر يرى أن الشعر وجدان ومناسبة، وأن وظيفته التعبير عن الأحاسيس والعواطف وتسجيل ووصف ما يرى ويسمع، وما يكون في المجتمع من مناسبات مختلفة؛ إذ نرى أن موضوعات الشعر التقليدية والمناسبات تأتي في الدرجة الثانية بعد الوجدانيات.

ومن الإمكان تقديم دليل على ذلك من أبيات أنتقيتها من الديوان بوصفها من أهم فرائده البديعة وسنجد أن الطابع الغالب عليها هو الطابع الوجداني وهي على النحو الآتي:

يقول واصفًا مشاعره الإنسانية:

أحـــب الرفـــق بالإنســـان دومًـــا ... وبالحيـــوان حـــتى بالـــذئاب

واحـــترم الوفـــاء ولـــو آتاني ... بهـذا العصـر مـن سـود الكـلاب(٣)

مـــا أجمـــل العـــيش الـــذي في ظلـــه ... تلقـــى جميـــع النـــاس كالشـــعراء(٤)

(١) نفسه، ص٢٨٠.

(٢) نفسه، ص٢٨٤.

(٣) نفسه، ص١٧٠.

(٤) نفسه، ص. ١٧٨

إن الهـــــلال إذا رأيـــــت نمـــــوه أيقنـــت أن ســـيكون بـــدر ســـناء[١]
أيقنـــت أن ســـيكون بـــدر ســـناء[٢] وقـــال واصـــفًا بائعـــة الجميلـــة ومـــش
فلتمضـــغ القـــات إن القـــات مـــن يـــدها تكـــاد تهطـــل مـــن أوراقـــه القبـــل[٣]

وقال واصفًا مشاعر العجز واقتراب النهاية:

أو قـــل لهـــا إن شمـــس العمـــر غاربـــة والأربعـــون علـــى خـــدي تشـــتعل[٤]
وهـــذي الأربعـــون تلـــوذ نـــورًا علـــى خـــدي فـــاحترمي مقـــامي[٥]

وقال مصورًا خبرته التي استمدها من الحياة:

وعلمتـــني مـــا لم أكـــن متوقعًـــا تعلمـــه يومًـــا بجامعـــة الـــدهر[٦]

وقال مصورًا أثر شعره في إكسابه مشاعر السعادة، ورقة الوجدان:

وكـــان الشـــعر يعصـــرني غرامًـــا ويســـكرني بـــلا شـــرب المـــدام[٧]
ضـــحكت أحاسيســـي وغـــنى في دمـــي شـــعري وفاضـــت بالســـنا أحلامـــي[٨]

وقال مصورًا أثر شعره في تعميق الحس الإنساني:

هـــذه جنـــة قلـــبي فتحـــت فادخلوهـــا بســـلام آمنـــين[٩]

وقال مصورًا اغترابه في الواقع المعيش:

يا غربـــة الصـــقر في دنيـــا الخفـــافيش كأنـــه واحـــد بـــين الأحـــابيش[١٠]
هـــذي الحيـــاة الـــتي أحيـــا بـــلا أمـــل لا العمـــر عمـــري ولا الأوطـــان أوطـــاني[١١]

وقال مصورًا مدى إخلاصه وصدق حبه:

ناديتـــه كـــي يكـــون القلـــب في يـــده مصـــباح معتكـــف في جـــوف معبـــده[١٢]

(١) نفسه، ص. ١٧٩
(٢) نفسه، ص. ١٧٩
(٣) نفسه، ص١٩٤.
(٤) نفسه، ص١٩٥.
(٥) نفسه، ص٢٠٥.
(٦) نفسه، ص٢٠٢.
(٧) نفسه، ص٢٠٥.
(٨) نفسه، ص٢١٠.
(٩) نفسه، ص٢٢٠.
(١٠) نفسه، ص٢٧٧.
(١١) نفسه، ص٢٩٧.
(١٢) نفسه، ص٣٣٦.

لقـــد أخطـــأت يا عمـــري مـــرارًا لأني لســـت يا حـــبي نبيـــا[١]

ســـوف يبقـــى صـــوتها في مســـمعي وإن ألتفـــت علـــى رأســـي العمامـــة[٢]

فكل هذه النماذج المختارة من هنا وهناك، تدل على أن الشاعر ذو ذوق سليم ووجدان رقيق، نتيجة أصالة التجربة وبكارة الرؤية، وأن معظم شعره مصدره الرؤية الوجدانية الرومانسية كما قال:

نســـجت الشـــعر مـــن شـــوق الأمـــاني ومـــن أحـــلام أخيلـــة العبـــير

ومـــن أضـــواء ألحـــان الـــدوالي ومـــن آمـــال وجـــدان الزهـــور[٣]

المحور الرابع: الصورة في تجربته الشعرية

هناك تجديد في الصورة الشعرية؛ إذ صارت تقوم على تراسل الحواس كما في قوله:

ذكـــرت رســـول الله فاعشوشـــب المـــدى وأمطـــرت الـــذكرى لجينـــا وعســـجدًا[٤]

فصارت الذكرى وهي مجردة تدرك بالفكر، فصارت تُرى في صورة العشب، للإيحاء بالبهجة عند تذكر الرسول صلى عليه وسلم، ثم صارت مطرًا يرى ويسمع ويلمس، ثم جُمّدت في صورة الفضة والذهب للإيحاء بالحياة والخصب في صورة المطر، والمنفعة والجمال في صورة الذهب والفضة.

وكذلك في قوله:

محمـــد المختـــار مـــن لـــو ذكرتـــه زرعـــت بوجـــداني مـــن الضـــوء منتـــدى

وأعشـــب فكـــري واســـتطالت فروعـــه وصـــار جنـــوني بالوقـــا مقيـــدًا[٥]

حيث صارت الذكرى ضوءًا للإيحاء بالهداية.

وتبرز الصورة التراسلية في شكل أوضح في قوله:

ورق كلامـــي في رحـــاب محمـــد وصـــار نســـيما بعـــد مـــا كـــان جلمـــدًا[٦]

حيث نجد المسموع وهو الكلام يصير مشمومًا ملموسًا في صورة "النسيم" للإيحاء برقته وجماله.

وقوله:

دنا والشـــمس في دمـــه تغـــني كمـــا تـــدنو عناقيـــد الحنـــان[٧]

(١) نفسه، ص٣٧٩.

(٢) نفسه، ص٣٧٠.

(٣) نفسه، ص٣٥٧.

(٤) نفسه، ص١.

(٥) نفسه، ص٢.

(٦) نفسه، ص٢.

(٧) نفسه، ص٣٩٤.

فالبيت فيه صورتان تقومان على التراسل والتجاوب، الأولى بين الضياء والغناء، والثانية بين العناقيد والحنان، الأولى تراسل تحولت فيه الشمس رمز الهداية والنور إلى غناء مسموع، والثانية تحول الحنان وهو مجرد إلى مادي يتذوق وهو عناقيد العنب، وهما في نهاية الأمر صورة واحدة قائمة على التشبيه، والصورة من قصيدة "من وطن الأماني"، وهي تحكي حكاية غريب جاء من وطن الأماني لينشر الهداية والخير، لكنه واجه الصعوبات في أرض الواقع، وكأن هذا الغريب رمز للشاعر الذي تقوده مثاليته إلى الرغبة في الإصلاح، لكنه يفاجئ بجحيم الواقع يحرق كل أمانيه، وما وطن الأماني في رؤيته إلا الشعر الذي يخلد إليها الشاعر، وكأنه موطنه، ومن ثم أعد هذه القصيدة قصيدة رمزية بامتياز؛ لغموض صورها وعمق دلالتها واعتمادها على الإيحاء دون التصريح وعلى اللمح دون التوضيح وعلى التكثيف دون التفصيل.

ومن التراسل بين المسموع والمتذوق قوله:

(نعمان) إن المنى في الشعر قد جمعت والشعر شهد إذا ما ذاقه البشر[١]

فالتراسل الحاصل بين المسموع والمتذوق، للإيحاء بما يشعر به الفرد عند سماع الشعر من لذة.

ونرى الأنوار تتحول في رؤية الشاعر الرمزية إلى ضحكات مسموعة إيحاءً بالسرور كما في قوله:

تهطل الأمطار أمطار المنى تضحك الأقمار في دنيا الخيال[٢]

وجميل أن تتحول الأنوار إلى أعشاب زاهية تبهج النفس وتقر به العين في قوله:

عسى أن تعشب الأنوار فيها ويسمع ثَمّ تغريد الهزار[٣]

واعشوشب في قوله:

وحبه قد سرى في الروح فابتهجت واعشوشبت بعد طول الجدب تقواها[٤]

وهو تراسل بديع بين المحسوس الملموس المنظور والمجرد الذي هو التقوى، فصارت التقوى توحي بالجمال والسكينة والبهجة.

كذلك قوله:

لكن قافيتي الخضراء ميزتها أني سكبت رجائي في نواياها[٥]

وهي صورة رائعة تحول المسموع إلى منظور في "قافيتي الخضراء"، وهو بلا شك يريد بهذا اللون صورة العشب التي تكررت كثيرًا، آية على نزوع نفسي عنده، وهو الشعور الفائق بجمال الطبيعة، وهي رؤية رومانسية تبدت في بعض قصائده، كذلك نجد التصوير التراسل في قوله:

---

(١) نفسه، ص٥٩.

(٢) نفسه، ص٦٣.

(٣) نفسه، ص٢١.

(٤) نفسه، ص٢٨.

(٥) نفسه، ص٢٩.

صـــبور علـــى الأيام لم يشـــك غـــدرها وبســـمته كـــالموج يرســـلها البحـــر(١)

حيث تصير البسمة وهي صورة بصرية، موجًا ملموسًا ومسموعًا ومرئيًا، وفي ذلك إيحاء بالجمال والبهجة، جمال الممدوح وبهجة المادح.

كما يظهر التراسل وهو يجسد رغبة الشاعر وميله إلى البيئة الخضراء وذلك في قوله:

ومـــا خـــدمت بشـــعري غـــير أمنيـــة خضـــراء مـــا شمهـــا فكـــر ووجـــدان(٢)

ففي"أمنية خضراء "صورة تحول فيها المجرد إلى محسوس، إيحاءً بخيرية المقصد.

وبديع أن يتلون الحنين ويشم ويرى في صورة "الأقحوان" في قوله:

فيـــــا أمـــــاه إني مســـــتجيب فزيـــــديني حنينـــــا أقحـــــواني(٣)

ومن قصيدة أشاد فيها بأمه بعنوان "إلى قلب أمي" وهي قصيدة تغلب عليها الصورة السمعية أكثر من أي صورة أخرى، ومن ذلك قوله:

أنـــت الـــذي لم يـــزل يســـعى إلى هـــدف خلـــف النجـــوم وقـــد يعشوشـــب الخـــبر(٤)

فتحول الخير إلى عشب يبهج النفس.

ومن الصور العشبية أيضًا:

ســـلكنا طريقًـــا مـــن ضـــياء وأعشـــبت أوان انطلقنـــا فيـــه أغنيـــة اليســـر(٥)

جسد الشاعر الأغنية في صورة العشب؛ ترجمة لمشاعر الجمال التي يشعر بها، ودلالة على الحياة والخصب والهداية، كذلك نرى صورة العشب تظهر في قوله:

تعشـــب الأحـــلام تخضـــل الـــرؤى ويصـــير الصـــخر فكـــرًا وانفعـــال(٦)

وهي صورة رمزية أيضًا جسدت الأحلام في صورة العشب، فهو نوع من التراسل بين المادي والمعنوي، والجميل فيها جعل الأحلام ملموسة ومرئية؛ للإيحاء بجمال هذه الأحلام وخيريتها وتمكنه منها، ويحمل الشطر الثاني صورة لا تقل روعة عن صورة الشطر الأول، وهي تحول الصخر وهو رمز للمعوقات المادية، يتحول إلى فكر وانفعال، وهي أمور مجردة، وكأن الشاعر يرى أن الخير من الإمكان أن يتولد من الشر والمأساة، كما أكد البيت التالي:

---

(١) نفسه، ص٣٢.

(٢) نفسه، ص٣٨.

(٣) نفسه، ص٤٣.

(٤) نفسه ص٤٩

(٥) نفسه ص١٩٨

(٦) نفسه ص٦٣

تولد الأفراح في قلب الأسى تكثر الخيرات تزداد الغلال[١]

ومن الصور الإبداعية لديه صورة نظم الأشجار الشعر في قوله:

تنظم الأشجار شعرًا باسما ترسل الأطيار شدوا من دلال[٢]

فحفيف الأشجار صار في رؤية الشاعر شعرا، يسحر سامعه، أو أن ثمرها وهو يأكل ويذاق تحول مسموعًا!

ومن الصور الغريبة ولكنها ابتداعية قوله:

وأنا إذا خطـــــر الغـــــرام بخـــــاطري أبـــــدو أمـــــام النـــــاس كالمســـــمار[٣]

فالصورة تشبيهية توحي بالثبات والرسوخ والوجوم.

ومن التصوير بالتناص الجميل: التناص غير المباشر مع قصة الخضر وموسى في قوله:

مـــن ســـورة الكهـــف خـــذ درسًـــا خلاصـــته الصـــبر مـــن شـــيم الطـــلاب لا الضـــجر[٤]

وقيمة هذا التناص الجمالية تكمن في تكثيف الإشارة، التي تمد القارئ المثقف بتخيل القصة كاملة، والاستفادة منها.

وبذلك أستطيع القول إن الشاعر في ديوانه قد أبدع في اتخاذه من أسلوب المدرسة الرمزية وسيلة لتكوين صوره المتجاوبة، وهذا من سمات التجديد الموجودة في ديوانه، وجاءت هذه الصور منسجمة مع المشاعر والأحاسيس، آية على صدق الشاعر، وركزنا على الصور النباتية؛ لأنها من الصور الغالبة في شعره.

كذلك نلمح من سمات التقليد في الصورة الاعتماد على اجترار التصوير القديم كما في قوله مصورًا بالظبي:

وعـــادت إلى صـــدري ســـعادة مهجـــتي وكانـــت قبيـــل الـــذكرى ظبيًـــا مشـــردًا[٥]

وقوله في قصيدة "الشمس":

فـــــإذا أنشـــــدت نشـــــيد المعـــــالي رقـــص القلـــب فـــوق شـــوك القتـــاد[٦]

(١) نفسه ص٦٣

(٢) نفسه ص٦٤

(٣) نفسه ص٧٤

(٤) نفسه، ص، ٥١.

(٥) نفسه، ص٢.

(٦) نفسه، ص٢٤.

فالنشيد وخصوصًا نشيد المعالي يثير في السامع عاطفة البهجة والعظمة، فكيف رقص القلب فوق شوك القتاد؟ والجو الشعري يوحي بالعظمة والبهجة، وهذه الصورة توحي بالألم والمعاناة المستمرة، مما يدل على عدم صحة المشاعر في هذا البيت.

ومن التصوير التقليدي الذي تحول مع الأيام إلى قوالب لغوية قوله:

نهارا إذا ما زير قيل غزالة وإن زير ليلًا قيل هذا هو البدر(١)

فتشبيه الممدوح بالغزالة (الشمس) حينا، وبالبدر حينا آخر، تصوير قديم، إبداعه يُحسب للشاعر الأول في عصور الجاهلية، ولم يقدم البيت أي دلالة جمالية؛ فالممدوح في النهار شمس وفي الليل قمر!

نتائج وتوصيات البحث:

١- مفهوم الشعر عند الشاعر: فكر وعاطفة، وله وظيفة وجدانية وجمالية واجتماعية، فهو يثري إحساس الأمة ويطربها ويهديها ويعالج أحزانها ومشكلاتها.

٢- اهتم الشاعر في شعره بالجانب الوجداني أكثر من اهتمامه بالجانب الاجتماعي.

٣- جاءت موضوعات التجربة الشعرية تقليدية مثل المدح والهجاء والوصف وغيرها، وتجديدية في رؤاها.

٤- ومن الموضوعات الجديدة الإشادة بالأم، ووصف المظاهر والعادات الاجتماعية المعاصرة ونقد الواقع السياسي والاجتماعي.

٥- غلب على تجربة الشاعر الرؤية الكلاسيكية الجديدة التي تتسم بالتجديد في إطار المحافظة على الشكل القديم، كما أنه استعان كثيرًا في تجربته بالرؤية الرومانسية واستعان بقلة بالرؤية الواقعية والرؤية الرمزية.

٦- جاءت تجربته الشعرية من ناحية الإيقاع الموسيقي قائمة على النمط العمودي التقليدي، فهو الغالب، وقصائده أجمل وأفضل، وعلى النمط التفعيلي الجديد.

٧- كما نجد ظاهرة تستدعي الالتفات وهي أن قصائد الوجدانيات كتبت في العقد الثاني من القرن الحالي، عقد الوجع الوطني؛ فالشاعر انكفأ على نفسه وانطوى على ذاته في هذه الفترة، فكتب أغلب القصائد الوجدانيات في هذه الفترة، فظهورها في العقد الأول قليل، وكذلك في بداية العقد الثالث؛ مع الاعتراف بأن كثيرًا من قصائده التي قيلت برؤية واقعية اجتماعية وسياسية قيلت في هذه الفترة أيضًا، وفي مطلع عقدنا هذا، لكنها قصائد قليلة إذا ما قيست بالوجدانيات، فكلها لا تتجاوز سبع عشرة قصيدة، وهي أقل نسبة في الديوان، لا تأتي بعدها من حيث القلة إلا القصائد الرمزية، وهي تعالج فعلًا الواقع لكن بطريقة غامضة.

(١) نفسه، ص٣٢.

٨- اتسمت الصورة لديه بالتجديد والتقليد، وإن كان التجديد فيها أوضح وأعمق؛ فاتسمت الصورة بتراسل الحواس وهو أثر من آثار الرمزية.

٩- الطبيعة النباتية وخصوصًا نبات العشب ومشتقاته من أهم مصادر الصورة لديه.

١٠- الديوان أخيرًا محل بحث أكاديمي يركز فيه الباحث على الألوان وتراسلها، أو بحث آخر يقوم على المنهج النفسي يفسر إصرار الشاعر على اللون الأخضر، الذي حظي باهتمام كبير عند الشاعر في كثير من أبيات الديوان.

المصادر:

عبد الرحيم سعيد أحمد "ثورة البحر" برنت تك للطباعة والإعلان، تعز.

عبد الرحيم سعيد أحمد سيف الكليبي شاعر يمني من مواليد (١٩٧٨م) حصل على بكالوريوس في اللغة العربية مع مرتبة الشرف من جامعة تعز عام (٢٠٠٥م)، وهو عضو جمعية الشعراء تعز صدر له: ديوان ثورة البحر، وديوان ترويض العواصف، وديوان مخابئ النجوم، وله خمسة دواوين أخرى مخطوطة.

ثورة البحر، برنت تك للطباعة والإعلان، تعز، ص٣٥٧.